والتعريف في (الفيل) للعهد وهو فيل أبرهة قائد الجيش كما قالوا للجيش الذي خرج مع عائشة أم المؤمنين أصحاب الجمل يريدون الجمل الذي كانت عليه عائشة مع أن في الجيش جمالا أخرى . وقد قيل أن جيش أبرهة لم يكن فيه إلا فيل واحد هو فيل أبرهة وكان اسمه محمود . وقيل كان فيه فيلة أخرى قيل ثمانية وقيل اثنا عشر . وقال بعض : ألف فيل ووقع في رجز ينسب إلى عبد المطلب : .

" أنت منعت الحبش والأفيالا فيكون التعريف تعريف الجنس ويكون العهد مستفادا من الإضافة .

والفيل A E الأنهار ذات الحارة البلاد حيوان من الخف ذوات الأربع ذوات من عظيم حيوان : من الهند والصين والحبشة والسودان . ولا يوجد في غير ذلك إلا مجلوبا وهو ذكي قابل للتأنس والتربية ضخم الجثة أضخم من البعير وأعلى منه بقليل وأكثر لحما وأكبر بطنا . وخف رجله يشبه خف البعير وعنقه قصير جدا له خرطوم طويل هو أنفه يتناول به طعامه وينتشق به الماء فيفرغه في فيه ويدفع به عن نفسه يختطف به ويلويه على ما يريد أذاه من الحيوان ويلقيه على الأرض ويدوسه بقوائمه . وفي عينيه خزر وأذناه كبيرتان مسترخيتان وذنبه قصير أقصر من ذنب البعير وقوائمه غليظة . ومناسمه كمناسم البعير وللذكر منه نابان طويلان بارزان من فمه يتخذ الناس منها العاج . وجلده أجرد مثل جلد البقر أصهب اللون قاتم كلون الفار ويكون منه الأبيض الجلد . وهو مركوب وحامل أثقال وأهل الهند والصين يجعلون الفيل كالحصن في الحرب يجعلون محفة على ظهره تسع ستة جنود . ولم يكن الفيل معروفا عند العرب فلذلك قل أن يذكر في كلامهم وأول فيل دخل بلاد العرب هو الفيل المذكور في هذه السورة .

وقد ذكرت أشعار لهم في ذكر هذه الحادثة في السيرة . ولكن العرب كانوا يسمعون أخبار الفيل ويتخيلونه عظيما قويا قال لبيد : .

ومقام ضيق فرجته ... ببيان ولسان وجدل .

لو يقوم الفيل أو فياله ... زل عن مثل مقامي ورحل وقال كعب بن زهير في قصيدته : .

لقد أقوم مقاما لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل .

لظل يرعد إلا أن يكون له ... من الرسول بإذن ا تنويل وكنت رأيت أن... قال إن أمه أرته أو حدثته أنها رأت روث الفيل بمكة حول الكعبة ولعلهم تركوا إزالته ليبقى تذكرة .

وعن عائشة وعتاب بن أسيد : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس .

والمعنى : ألم تعلم الحالة العجيبة التي فعلها ا بأصحاب الفيل فهذا تقرير على إجمال

يفسره ما بعده .

(ألم يجعل كيدهم في تضليل [2] وأرسل عليهم طيرا أبابيل [3] ترميهم بحجارة من سجيل [4] فجعلهم كعصف مأكول [5]) هذه الجمل بيان لما في جملة (ألم تر كيف فعل ربك) من الإجمال . وسمى حربهم كيدا لأنه عمل ظاهره الغضب من فعل الكناني الذي قعد في القليس وإنما هو تعلة تعللوا بها لإيجاد سبب لحرب أهل مكة وهدم الكعبة لينصرف العرب إلى حج القليس في صنعاء فيتنصروا .

أو أريد بكيدهم بناءهم القليس مظهرين أنهم بنوا كنيسة وهم يريدون أن يبطلوا الحج إلى الكعبة ويصرفوا العرب إلى صنعاء .

والكيد : الاحتيال على إلحاق ضر بالغير ومعالجة إيقاعهز والتضليل : جعل الغير ضالا أي لا يهتدي لمراده وهو هنا مجاز في الإبطال وعدم نوال المقصود لأن ضلال الطريق عدم وصول السائر .

وظرفية الكيد في التضليل مجازية استعير حرف الظرفية لمعنى المصاحبة الشديدة أي أبطل كيدهم بتضليل أي مصاحبا للتضليل لا يفارقه والمعنى : أنه أبطله إبطالا شديدا إذ لم ينتفعوا بقوتهم مع ضعف أهل مكة وقلة عددهم . وهذا كقوله تعالى (وما كيد فرعون إلا في تباب) أي ضياع وتلف وقد شمل تضليل كيدهم جميع ما حل بهم من أسباب الخيبة وسوء المنقلب